

الإعجاز اللغوي والعلمي في الحديث النبوي الشريف -حديث جامع أصول الطب نموذجاً-

Linguistic and scientific inimitability in the prophet's hadith
-the inclusive of medicine origins is a model-

أ. شريفة مناصري*

تاريخ القبول: 2020-07-01

تاريخ الارسال: 2019-11-28

ملخص:

لامشاحة في أن الحديث النبوي إضافة نوعية للغة الضاد، وفي حياة الأفراد قديماً، وحديثاً؛ فقد خولت له فخامة اللفظ، وعمق المعنى أن يكون ثاني أكثر المصادر إثراء للدرس اللغوي وأن يكون من أعظم ركائز الطب الوقائي التي ضمن إتباعها بقاء الصحة تاج على رؤوس البشر؛ وما ذلك إلا لاحتواء الحديث النبوي نظاماً غذائياً وقائياً اختصره في حديث أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه جمع أصول الطب الوقائي كلها، وقد أبرزنا هذا الأمر انطلاقاً من الإعجاز اللغوي، الذي أوصلتنا دلالاته في هذا الحديث إلى دقائق علمية كفيhle بإعطاء الفرد لمسة وقائية تؤمن له عافية الجسد وراحة النفس. لنخلص من ذلك إلى حقيقة كون نصوص الرسول صادرة من عالم دار بدلالات أفاضله اللغوية والعلمية، الأمر الذي يؤكد كونها نصوص هداية وعلم، ويفند قولهم إنها نصوص هداية فقط.

كلمات مفتاحية: الإعجاز اللغوي؛ الحديث؛ جامع أصول الطب؛ الحقائق العلمية.

* جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر البريد الالكتروني: cherifamenacceri@gmail.com (المؤلف المرسل)

Abstract:

It is unanimously agreed that the Prophetic sayings (Hadiths) add quality to the Arabic language, and to the lives of individuals in the past and the present. The power, the strength and the depth of the diction entitle them to be in second position for linguistic acquisition and make them a prominent pillar in preventive medicine, which has always emphasized that health was a crown on human's heads ,The Prophetic sayings (Hadiths) contain a preventive dietary system, the least about which it could be said ,it that they provide a basis to the foundations for preventive medicine. This highlighted from the linguistic inimitability of the saying (Hadith) and the scientific details it carries within itself and its ability for providing the individual a preventive touch that secures his health and comforts his soul. It may, accordingly, be deduced that the texts of the Prophetic sayings (Hadiths) originate from a scientist knowledgeable about the linguistic and scientific diction, This confirms that they are texts of guidance and knowledge and not only texts of guidance.

Keywords: the linguistic inimitability, EL- hadith, the inclusive of medicine origins, the scientific truths.

1. المقدمة:

الحمد لله خالق البشر باعث الرسل، ثم الصلاة والسلام على خير الأنام سيد الأعلام، وعلى آله، وصحبه وبعد:

فإن ألفاظ الحديث صادرة من قلب متعلق بخالقه، ومن لسان نُزِّل عليه القرآن بحقائقه؛ الذي لم يسمع البشر بكلام أصدق لفظاً من كلامه، ولا أصح من معناه، ولا أعم نفعاً منه، وما ذاك إلا لأن الرسول عليم صدق اللفظ ونصاعته، وجزالة القول وطرق إيجازه، فأحكم بزمam صحة المعنى، فكشفت له اللغة عن أسرارها، وبادرت له بحقائقها .

ولا عجب في ذلك كله فالحبيب أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم دقائق العلم؛ فعلم ألسنة العرب، وحقائق الطب، وخبايا الأنفس وأسرار الأفاق، فكان نتاج هذا أن حديثه تربة خصبة لكل العلوم؛ إذ جمع فصول علوم اللغة، وأبرز روائعها، وأبان نكتها، ووضّح أصول العلوم الأخرى التي سبق إلى إشاراتها الموصلة إلى معرفة أدق تفاصيلها، حتى كاد يكون مصدر الإنسان الأول في بعضها.

وقد كان هذا دافعي للوقوف مع حديثه، فضلاً عن قصد الغوص في أعماقه حباً في الإطلاع على بعض نكته، والنهل من فوائده اللغوية، ثم الوقوف مع بعض إشارات العلم والتدليل لها ببعض ما وصل إليه العلم التجريبي؛ وذلك أن الحديث النبوي تضمن كماً من الإشارات العلمية الدقيقة التي كان للرسول فضل سبق فيها، ثم أثبت العلم التجريبي بأدلته القاطعة حقائقها بعد قرون.

ومن بين ما حواه الحديث النبوي من الحقائق؛ حقائق تعلقت بموضوع الأطعمة؛ حيث تناولت أحاديث عدة كيفية الأكل، وكمياته، وآدابه، وفوائده. لكن هل حوى الحديث النبوي الشريف نظاماً غذائياً محكماً يضمن للإنسان صحته الجسدية وراحته النفسية؟ وهل يمكن لمفرداته أن توصلنا في موضوع الأطعمة إلى حقائق موافقة لما توصل إليه العلم الحديث؟

لا شك أن الإجابة على هذا السؤال تتطلب دقة الاختيار، وبعده النظر. وللجواب عليه اخترت حديثاً اعتبره بعض اللغويين من أبلغ ما نطق به كما اعتبره كثيرون من أهل الطب جامعاً لأصول علمهم كلها - الذي كان نورا أضاء طريق كثير منهم إلى الإسلام - فوضعت تحت مجهر بحثي، وقسمت البحث

فيه إلى قسمين كخطوة تنظيمية: قسم تكلمت فيه عن مفردات المقال؛ فبينت معانيها، وقسم خصصته لإبراز الإعجاز في هذا الحديث منطلقاً فيه من اللغوي للوصول إلى العلمي، جاعلة من ألفاظه أساسية الأول في ذلك، ومتخذتها سبيل الوصول إلى الإشارات العلمية فيه، والتي توصلني في الأخير إلى حقائق أثبتتها العلم التجريبي .

2. بيان معاني مفردات البحث

قبل الولوج في بيان الإعجاز اللغوي، والعلمي في الحديث لابد من معرفة ماذا يعني كل منهما، كما لابد من معرفة معنى الحديث، وبعض ما تعلق به. وإن كانت أغلب هذه الأمور هي من المسلمات، لكن يبقى الوقوف عليها خطوة أولى لابد منها لتقديم هذا المقال.

1.2 الإعجاز: الإعجاز لغة مشتق من 'العجز' الذي هو «الضعف، وعدم القدرة»⁽¹⁾ يقال: «عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاج؛ أي: ضعيف...»، ويقولون: المرء يعجز لا محالة، ويقال أيضاً: أعجزني فلان؛ إذا عجزت عن طلبه وإدراكه»⁽²⁾، والإعجاز مصدر 'أعجز' ومعناه «الفوت والسبق يقال: أعجزني فلان أي: فاتني»⁽³⁾.

وبه؛ فالمدلول اللغوي للفظة 'الإعجاز' يدور حول معانٍ منها: العجز والضعف، والفوت، والسبق وقد حوت هذه المعاني فحوى إعجاز السنة النبوية؛ فالحييب أعطي جوامع الكلم، وفاقت فصاحته فصاحة البشر، فضعت قرائحهم عن الإتيان بمثل معانيه، فحديثه كان أصح معنى وأبلغ لفظاً بعد

كلام الجليل سبحانه، ودليل ذلك أنه كان السبّاق إلى حقائق لا زالت علوم البشر تجهل كثيرا منها.

ومعلوم أن لحديث الرسول وجوه إعجازية عدة مختلفة اختلاف تنوع لا تضاد؛ إذ يكمل بعضها بعضا، ويوصل بعضها إلى البعض الآخر، ومن هذه الوجوه: الإعجاز التشريعي والتاريخي ومنها الغيبي واللغوي والعلمي اللذان سيكونان محور بحثنا هذا. الأمر الذي ألزمتنا الوقوف على تعريفها كشيء من التقديم لهذا الموضوع.

1.1.2 الإعجاز اللغوي: وهو أشهر وجوه الإعجاز إطلاقا، وأهمها باعتبار أن

معجزة الرسول كانت لغوية بيانية.

وهو الوجه الإعجازي الذي يعنى بالمفردة القرآنية، أو الحديثية من جانب الشكل والمضمون والغاية سواء أكانت منفردة أم في التركيب؛ أي: هو ما تعلق بلفظ القرآن والحديث وبتركيبهما من ظواهر ودلالات لغوية، وهو منطلق وجوه الإعجاز الأخرى وأساسها الذي تبنى عليه؛ والوجه العلمي من أحوجها إلى إليه، بل يعتبر اللغوي الخطوة الأولى التي لا يمكن الاستغناء عنها في معرفة العلمي.

2.1.2 الإعجاز العلمي: لقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة

على أوجه إعجاز القرآن، والسنة التي كشفت عنها العلوم الكونية التجريبية.

والإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف هو: إخبار السنة النبوية بحقيقة أثبتها

العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول⁽⁴⁾.

2.2 الحديث النبوي وبعض متعلقاته: لا يخلو الحديث عن الحديث النبوي

الشريف من ذلك بعض ما تعلق به؛ كالراوي، والسند، وغيرهما من الأمور التي يعتبر التعرّيج عليها توضيحاً للحديث المتناول في البحث.

1.2.2 الحديث النبوي: هو أبلغ كلام بعد كلام الله، وعلمه أدق العلوم

النظرية إطلاقاً، وما ذاك إلا تجلياً لعناية العلماء به عبر الزمان، وقد كان من وجوه هذه العناية اصطلاح علماء الحديث على مفهومه، وعناية علماء اللغة بمعناه الأساسي.

1.1.2.2 لغة: من الفعل 'حدث' و«الحاء والدال والتاء أصل واحد، وهو كون

الشيء لم يكن.

يقال حدث أمر بعد أن لم يكن، والرّجل الحدّث: الطّري السنّ، والحديث من هذا؛ لأنّه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء، ورجل حدّث: حسن الحديث⁽⁵⁾، و«الحديث: الجديد والخبر، وجمعه: أحاديث»⁽⁶⁾

2.1.2.2 اصطلاحاً: الحديث في الاصطلاح «ما أضيف إلى النبي قولاً، أو فعلاً

أو تقريراً أو صفة»⁽⁷⁾.

قال السيوطي^(*) (911هـ) في ألفيته في الحديث

والمتن: ما انتهى إليه السند ... من الكلام، والحديث قيّدوا

بما أضيف للنبي قولاً، أو ... فعلاً، وتقريراً، ونحوها حكوا⁽⁸⁾.

ولما كان القول أعظم ما أثر عن النبي، وكانت معجزته لغوية بيانية كان أول

المضامين فهو أصل الإعجاز، والإعجاز هو فحواه، وهذا ما سنبرزه في هذا المقال.

2.2.2 راوي الحديث: لا ريب أن لكل حديث من رواه عن الحبيب وروى عن

هذا ذلك، وهكذا حتى كون هؤلاء الرجال سنداً لولاه لما وصلنا الحديث.

ولما كان الراوي من أهم ركائز الحديث كان لابد لنا من معرفة صاحب حديث 'جامع أصول الطب' وقد رواه «المقدّم بن معدّ يكرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بن سيار عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي أبو كريمة، وقيل: أبو يحيى، وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله من كنده، يعد في أهل الشام، وبالشام مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة. روى عنه سليم بن عامر الخبائري، وخالد بن معدان والشعبي وأبو عامر الهوزني وغيرهم»⁽⁹⁾.

3.2.2 حديث جامع أصول الطب: روى هذا الحديث أحمد (241هـ)، وابن

ماجه (273هـ)، والترمذي (279هـ)، والنسائي (303هـ)، واللفظ لابن ماجه حيث قال: «حدثنا هشام بن عبد الملك الحمصي قال حدثنا محمد بن حرب، قال: حدثني أمي عن أمها أنها سمعت المقداد بن معد يكرب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مَلَكَ أَدَمِيٌّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ أَدَمِيٍّ، لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ غَلَبَتِ أَدَمِيٌّ نَفْسُهُ، فَتُلُكُ لِلطَّعَامِ، وَتُلُكُ لِلشَّرَابِ، وَتُلُكُ لِلنَّفْسِ»⁽¹⁰⁾ وفيه قال الترمذي «حسن صحيح»⁽¹¹⁾، وصححه الألباني.

4.2.2 سبب تسميته 'بجامع أصول الطب': وأما عن تسمية الحديث 'بجامع

أصول الطب' فلكونه جمع سبل الحماية، وطرق الوقاية من الأمراض، وضم أصول الطب، وأسسها وهذا بشهادة العلماء، والأطباء والمجربين، ودليلهم أنه لو طبق ما احتاج آدمي إلى طبيب، وما اشترى دواء ولتمتع بصحة الجسد، وراحة النفس.

ولم آت بهذه التسمية من نفسي، ولا بنيت عليها من فراغ، وإنما إتبعته في ذلك أهل العلم و الحذق الذين استخلصتُها من وصفهم؛ فابن رجب^(*) (795هـ) مثلاً يقول في وصفه لهذا الحديث: «وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها. وقد روي أن ابن ماسويه^(*) (243هـ) الطبيب لما قرأ هذا الحديث قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات، سلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت الممارسات ودكاكين الصيدلة»⁽¹²⁾

ومن طريف ما يروى في المواقع الإلكترونية أن طبيباً أمريكياً حاذقاً في الطب أعلن إسلامه فلما سألوه عن السبب قال أسلمت بسبب حديث، وآية فلما سألوه عن الحديث قال:

'ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنٍ ... إلى آخر الحديث، ثم عقب قائلاً: هذه أصول الطب ولو أن الناس نفذوها ما كاد يمرض منهم أحدٌ.

هذه بعض الأقوال لأهل الاختصاص، والتي أكدت أحقية هذا الحديث بتسمية 'جامع أصول الطب' وبيئت أنه لا غبار على اسم لصاحبه كل النصيب منه.

3. الإعجاز اللغوي والعلمي في الحديث

إنَّ كون الرسول أعطي جوامع الكلم أمر ظاهر في جامع أصول الطب؛ إذ فيه من براعة السبك وروعة اختيار الألفاظ لمعانيها وتوخي أغراض الأساليب ما لا يخفى على ناظر، وقد بين في هذا الحديث نظام الغذاء الصحي، وطرق التدرج فيه للوصول إلى سلامة الجسد والنفس؛ فهي أولاً عن كثرة الأكل بل أنكرها؛ لكونها أكبر شر يوجهه الإنسان لنفسه وبيده، ثم بين مقدار كفاية

الجسم من الطعام، وأن التث هو المقدار الذي لا يجب تجاوزه لكل من دعته حاجته، أو غلبته نفسه فجاوزته مقدار الحاجة؛ لكثرة شرور ذلك، وأضراره. هذا وقد سرد الحبيب نظام الوقاية الغذائي في قالب لغوي معجز، وظف فيه من اللغة ما كان في أعلى درجات الانتقاء والدقة لصحة المعنى وتصويره فكان ميلاد ذلك مسابقة معاني الحديث العلمية ألفاظه اللغوية إلى الدهن، حتى سار الإعجاز العلمي واللغوي فيه جنباً إلى جنب.

1.3 الإعجاز اللغوي في حديث 'جامع أصول الطب': سبق وذكرنا أن الإعجاز

اللغوي هو الأساس الذي تبنى عليه باقي وجوه الإعجاز الأخرى، وأن الرسول عرض نظام التغذية الصحي في قالب لغوي معجز وظف فيه من حروف اللغة وصيغ ألفاظها وأساليبها ما كان به المعنى أقوم؛ كالنفي، والتشبيه، والتصغير والمجاز وغيرها.

1.1.3 أسلوب النفي: قال رسول ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» أي: ما

ملأ الآدمي شيئاً أبداً شراً عليه من ملئه لبطنه، وقد بدأ حديثه بأسلوب النفي هذا لنقض فكرة ملء البطن، وإنكار هذا العمل الشنيع في حق النفس البشرية، ونفيه نفيًا كلياً مطلقاً متجدداً لسوئه وضرره، وقد ضمن أسلوب النفي هذه المعاني؛ بداية من أداة النفي 'ما' الدالة على كلية هذا النفي وعمومه أي نفاه نفيًا مطلقاً لا قيد له ولا شك فيه، 'وصيغة الفعل الماضي' الدالة على تجدد حصول الضرر، وتحققه ما تحقق ملء البطن بالطعام، والدالة باقتران 'ما' النافية بها على استمرار وقوع الضرر ما استمر من إنسان هذا الفعل الشنيع.

وصولاً إلى الاسماء 'آدمي'، 'وعاء'، 'شراً'، 'بطن' الدالة على الثبوت، والاستمرار أي: ثبوت هذا الضرر، واستمرار هذا الشر ما ثبت ملء البطن، واستمر.

لذا كان نفي الحبيب نفياً مطلقاً صالحاً لكل زمان دالاً على تحقق شر ملء البطن؛ فكما ملأ آدمي بطنه وضم فيه الطعام إلى الطعام كلما أبعده عن صحة الجسد وراحة النفس؛ لأن الحمية رأس الدواء، والبطن رأس الداء، فما هلك الكثيرين إلا الأمراض الناتجة عن إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام، وما تمتع غيرهم بصحتهم إلا بخلاف ذلك⁽¹³⁾.

2.1.3 التشبيه: وهو من وسائل الرسول (صلعم) اللغوية التي انتقاهما لتجسيد حال البطن حين الامتلاء توهيناً لذلك، وتفسيراً فيه فقال: «مَا مَلَأَ آدَمِيُّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»؛ فشبه البطن بالوعاء تشبيهاً تمثيلاً؛ لأنها تحوي الطعام وتحفظه كما يحوي الوعاء الحوائج، وقد جعلت وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفًا لحوائج البيت توهيناً لشان امتلائها، وتفسيراً فيه، ثم جعلت شر الأوعية لأنها استعملت فيما ليست له؛ فالبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام لا أن يملأ به؛ لأن امتلاءه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرًّا منه⁽¹⁴⁾.

لذلك حث الرسول على الاكتفاء بقدر الاحتياج والكفاية؛ أي: لا ناقصاً عن احتياجه ولا زائداً عن كفايته؛ لما في كلا الأمرين من ضرر عظيم يهدد وجود كل آدمي.

3.1.3 التصغير: وقد أتى به لبيان مقدار حاجة الإنسان من الغذاء، وإيضاح كميتها، وحدودها فقال ﷺ: «حَسْبُ الْآدَمِيِّ، تُقِيمَاتٌ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ»؛ أي: هذه

اللقيمات كافية لسد رمق أي آدمي، وتوفير السرعات الحرارية اللازمة لجميع العمليات الحيوية الأساسية في جسمه.

ومن ثم إعطائه القوة اللازمة لإقامة صلبه، والقيام بوظائفه، كما أنها أنفع لنفسه وأوقى لجسده. 'فالحسبُ هنا بمعنى الكافي قال عز ﴿يَتَّيَّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁵⁾؛ أي : كافيك الله الذي بيده كل شيء، ومن أتبعك من المؤمنين⁽¹⁶⁾

إذاً هذه اللقيمات هي مقدار حاجة الجسم من الأكل، وهو مقدار ثابت مشترك عند جميع البشر. واللقيمات 'من الفعل 'لقم'، واللّقة اسم لما يهيئه الإنسان من الطعام للأكل⁽¹⁷⁾

والقيمات 'تصغير 'لقم'، ومعلوم أن التصغير لا يعرض للاسم هكذا دون دلالة، «وإنما ليبدل على صغر المسمى وقلة أجزائه»⁽¹⁸⁾؛ وبه فقد صُغرت لفظة 'لقم' وتم العدول عنها إلى 'لقيمات' ليبدل التصغير فيها على صغر حجم اللقمة وعلى تقليل كمية الطعام؛ فتصغير الاسم يكون بضم أوله وزيادة ياء في وسطه وكلا الأمرين دليل واضح وحجة بالغة على ما ذهبنا إليه لأن دلالة 'الضم' في التصغير هي القلة وأما 'الياء' فدالة على صفة واقعة على جملة المصغر⁽¹⁹⁾، وقد دلت هنا مع 'الضم' على صغر حجم هذه اللقيمات وقلة عددها.

وهناك دليل قاطع يحصر عدد هذه اللقيمات، ويبين حدّها الأدنى، والأعلى وهو كون لفظة 'لقيمات' جمع تكسير للقلة؛ ومعلوم أن دلالة جمع القلة العددية تتحصر بين العدد ثلاثة والعدد عشرة؛ أي: لا تكون تحت الثلاثة، ولا فوق

العشرة، وهذا بيان جلي لعدد لقيمات الحاجة الذي لا يجب أن يقل عن ثلاثة، ولا يزيد عن عشرة.

يضاف إلى جمع القلة دليل حسابي لغوي يؤكد ما اختيرت له هذه اللفظة دون غيرها، ومجيئها بهذه الصيغة دون سواها فنحن إذا قمنا بعد اللقيمات من واحدة إلى عشرة لتبين لنا الحد الأدنى، والأعلى للقيمات إقامة الصلب؛ وذلك من خلال صيغة هذه اللفظة فلو قلنا لقيمة، لقيمتان، ثلاث لقيمات، أربع لقيمات ... عشر لقيمات، إحدى عشرة لقيمة نكون في العدد الأخير قد رجعنا إلى صيغة المفرد 'لقيمة' وفي الحديث ما وردت هذه الصيغة البتة، ولا وردت صيغة المثني 'لقيمتان' وإنما وردت صيغة الجمع 'لقيمات'، ومن أين بدأ وانتهى دخول هذه الصيغة في حسابنا؟ الجواب واضح فقد بدأ دخولها من العدد ثلاثة وانتهى في العدد عشرة، ولا معنى لهذا غير بيان عدد هذه اللقيمات، بل بيان حدها الأدنى وهو ثلاث لقيمات، وحدها الأعلى وهو عشر لقيمات، لا أكثر ولا أقل.

وبه؛ فالحبيب ﷺ وضع نظاما غذائيا غاية في الدقة وافق في أسسه التي وضعها - كبيان مقدار كمية الطعام التي يحتاجها الجسم، وبيان حجم أجزائه(اللقيمات)- ما توصل إليه كل من علم الصحة والتغذية. وقد أوجز كل هذا في لفظة واحدة أبرع في اختيارها واختيار صيغتها فكانت من أبلغ ما نطق به ومن أشده وصفا وأدقه بيانا لكمية الطعام وحجم أجزائه، وأول إشارة علمية تبين فائدة وسيلة تناوله كما كانت من أدل ألفاظه على كونه أعطي جوامع الكلم كلها، وأنه أبلغ البشر إطلاقا، وأن حديثه أفصح كلام بعد كلام المولى عز وجل

4.1.3 المجاز: بعد أن بين الرسول ﷺ كمية الأكل الصحية من خلال بيان

حجم وعدد اللقيمات التي يجب تناولها، أكد فائدتها الصحية حين بين أن هذه اللقيمات كافية لوحدها لسير العمليات الحيوية في جسم الانسان، ومن ثم استمرار حياته، ومزاولة مختلف نشاطاته لكفايتها إقامة صلبه فقال: «لُقَيْمَاتٌ يُقِيمَنَّ صُلْبَهُ»؛ أي: ترفعه وتعده وتسويه فهي حاجته من الطعام في كل ما يمكن أن يؤديه من وظائف.

و الصلب هنا بمعنى 'الظَهْر' من باب تسمية الكل باسم جزئه تبياناً لأهميته، وكناية عن أنه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط ويتقوى به على الطاعة⁽²⁰⁾؛ ذلك أن الانسان لا بد له من طعام ليكون قادراً على تأدية واجباته التعبدية، وأعماله الدنيوية، ويكون قادراً على العيش قبل ذلك كله فالغياب الطويل للطعام يؤدي بروح الإنسان إلى الهلاك الحتمي؛ بسبب ما يترتب عن ذلك من أمراض خطيرة كنقص كريات الدم ونقص المعادن في جسمه، وغيرها من الأمراض الناتجة عن سوء التغذية.

وبعد هذا بين الرسول (صلعم) الطريقة المثلى لمن لا يستطيع الاكتفاء بهذه اللقيمات، فأمرته نفسه، أو دعتة حاجته إلى خلاف ذلك، وهي أن ينتقل إلى المرحلة الثانية في هذا النظام الغذائي المحكم وهي مرحلة الثلث، التي تتوسط بين الحاجة، والامتلاء فقال ﷺ «فَإِنْ غَلَبَتْ أَدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَتُلُثْ لِلطَّعَامِ، وَتُلُثْ لِلشَّرَابِ، وَتُلُثْ لِلنَّفْسِ»؛ «وَتُلُثْ الطَّعَامِ: هُوَ الْقُوَّةُ، وَتُلُثْ الشَّرَابِ: هُوَ الْقُوَى وَتُلُثْ لِلنَّفْسِ: هُوَ الرُّوحُ»⁽²¹⁾؛ فمراتب الغذاء عموماً ثلاث مراتب: مرتبة الحاجة وهي مرحلة اللقيمات، ومرتبة الكفاية؛ وهي مرحلة الثلث، ومرتبة الفضلة الموجبة للأسقام؛ وهي مرحلة ملء البطن؛ لذا أخبر النبي ﷺ أن الانسان تكفيه

لقيمات يقيم بها صلبه فلا تسقط قوته. فإن تجاوز هذا الحد في الطعام فليأكل في ثلث بطنه، وليدع الثلثين الآخرين أحدهما للماء، والآخر لنفسه. وهذا النظام من أنفع ما للبطن، والقلب كما بين ذلك العلم الحديث، فإن البطن إذا امتلأ بالطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب، فأمرض القلب والبطن معه⁽²²⁾

5.1.3 التكرار: وهو من سمات الإعجاز اللغوي البارزة في هذا الحديث؛ حيث كرر لفظة 'الآدمي' لأغراض توضح غاية الحديث، وتوصل معناه في أكمل صورة، فجاء بها في أول الحديث في قوله: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»؛ للتبنيه على أن هذا الفعل مما لا يجب أن يقع من الآدمي المكرم بالعقل، لما يترتب عنه من أذى لنفسه، وجسده، وقد نُكرت اللفظة لإفادة العموم؛ أي: عموم البشر؛ فكلهم ينطبق عليهم هذا الشر إذا ما ارتكبوا هذا الجرم في حق نفوسهم، وأجسادهم، ثم كررها في قوله: «حَسْبُ الْآدَمِيِّ، لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ»؛ لبيان أن الآدمي هو المقصود - لأن التعريف هنا للعهد - ولإقناعه بأن ملء البطن لا يمكن أن يجر له غير الضرر، وذلك من خلال بيان مقدار كفايته وعظم فوائد ذلك على جسده.

فأتضح شر ملء البطن باتضاح عظم فوائد خلافه؛ فبضدها تتضح الأمور.

ثم كررها في نهاية الحديث فقال ﷺ: «فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَتُلُثْ لِلطَّعَامِ، وَتُلُثْ لِلشَّرَابِ، وَتُلُثْ لِلنَّفْسِ»؛ تأكيداً لمعاني الحديث، وتحقيقاً لأغراضه؛ بترسيخها، وتشبيتها في عقل هذا الآدمي ومن ثم في عمله، وهذه إحدى طرق الدعوة عنده ﷺ؛ حيث كان يكرر الأحاديث، أو بعض ألفاظها لترسيخ

معانيها وتأكيدا في عقول الصحابة رضوان الله عليهم، ومن أتى بعدهم وأقتضى أثرهم.

ولا يترتب دقيق النظر في القول إن الوقوف مع حديث جامع أصول الطب يعلمنا نظاماً غذائياً غاية في الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع، وضع الرسول في حديثه هذا أسسه وشيد معمله فبين آدابه ووضح مقادير الطعام فيه، وتدرج في مراحل؛ ليظهر أثر ذلك في جسم الأدمي وعلى وظائفه، صائفاً ذلك كله في قالب لغوي متحد الأطراف مكتمل الدلالات، منتقياً من الأساليب ما يكون إلى السياق أنسب كالنفي، و التكرار، ومن الألفاظ وصيغها ما يكون إليه المقام أحوج، ومع المعنى أثلف؛ كاختيار لفظة 'الصلب' ولفظة 'لقيمات'، لتكون بذلك أمام نموذج لغوي غاية في البلاغة لفظ لغوي أعطي جوامع الكلم، فكانت أساليبه أهم دلائل ذلك وألفاظه أعظم سماته؛ وذلك من خلال شكلها ومضمونها وتحقيقها الوصولاً إلى غايتها الدلالية اللغوية، والعلمية.

2.3 الإعجاز العلمي في حديث جامع أصول الطب: سبق وذكرنا أن الإعجاز

العلمي هو سبق السنة النبوية بحقائق علمية أثبتتها تجارب العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بوسائل البشر في عهد الرسول ﷺ؛ وذلك أنها تدرك بوسائل مجهرية دقيقة اختلفت اختلافاً كبيراً عن وسائل السلف الذين كانوا يعتمدون على العقل والتفكير، ومما أسلفنا في الذكر أيضاً أن النبي جاء في حديث جامع أصول الطب بنظام غذائي وضع فيه آداباً وسن فيه قوانين تُسير أمر طعام العبد وشرابه. نظم بها الوجبات، وكمياتها، وطريقة تناولها ووسائل ذلك تنظيمياً موافقاً لما وصلت إليه علوم الطب والطب الوقائي وعلم الصحة أولها، بل سبقها الحبيب إلى هذه الحقائق بقرون؛ حيث حوى جامع أصول الطب حقائق

علمية دقيقة أوجزها في بعض ألفاظه إيجازاً أوصل منها ما عجزت دفاتر الكتب عن إيصاله؛ فتبين من خلاله شرماء البطن، والأهمية الصحية للأكل باليد، وأهمية العمود الفقري في جسم الإنسان، وأهمية تقسيم البطن الصحية وكذا طرق والوقاية من الأمراض بعدم الإسراف في الأكل، فكانت هذه الحقائق دليلاً قاطعاً على علمه، وإعجاز حديثه.

1.2.3 شرور ملء البطن: وهي أول إشارة علمية يمكننا أن نستشفها من ألفاظ هذا الحديث حيث قال الحبيب «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»؛ فبين أن من أخطر ما يؤدي الآدمي إطلاقاً ملئه لبطنه؛ لما ينتج عن ذلك من أضرار وخيمة أبرزها علماء الشرع، والطب قديماً وحديثاً، فالإنسان بطبعه شره يسرف في الأكل، والشرب، ويتناول عادة ثلاثة أضعاف ما يحتاجه جسده من الطعام، والشراب، لذلك لا يُشك أن أكثر الراحلين من الدنيا هم منتحرون بأيديهم، وأفواههم، بما أسرفوا وأدخلوا إلى أجوافهم من طعام تجاوزوا فيه حد الحاجة والكفاية.

والمتمتع لشر إسراف إدخال الطعام إلى البطن، وتجاوز الحاجة فيه يجده ينحصر في مضار ثلاث تعود بالشر على الفرد، والمجتمع؛ مضرة شرعية، ومضرة نفسية، ومضرة بدنية.

1.1.2.3 المضرة الشرعية: وهي الوقوع فيما نهى الله، ورسوله عنه، وتجاوز حدود الشرع في ذلك. وهل يوجد شر أعظم من تجاوز حدود الرزاق فيما أنعم به على عباده، وجعله سبيلاً لعيشهم، واستمرار حياتهم؟ ولعظمة هذا الجرم وعظمة عواقبه جاءت نصوص الشرع بالنهي الصريح عنه فقال عز وجل: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوْا زَيْتَكُمْ

عند كلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٣﴾، وقال: «مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، « فجاء الشرع أمر البشر بأن يأكلوا، ويشربوا بقدر حاجة أجسامهم، ولا يتجاوزوا الحد في ذلك فينالوا شرًّا كبيراً، ومن أعظم الشر في ذلك وأشدّه في الدنيا، والآخرة الخروج من محبة الله ورحمته علاوة عمّا يترتب عنه من عواقب صحية وخيمة.

وقد كان هذان النصان وغيرهما من نصوص الشرع منارة العلماء في استنباطهم حكم التجاوز في الأكل والشرب، وبيان مخاطر ذلك، وقد اختلفوا في حكم الإسراف، وتجاوز حد الحاجة في الطعام والشراب بين الحرمة والكرهية⁽²⁴⁾، وما هذا الحكم إلا دليلاً على شناعة هذا التجاوز؛ لما يترتب عنه من مضرة شرعية يعتبر غيرها من الضرر فرع لها؛ لذا نهى الشرع عن تجاوز الحاجة في الطعام، و الشرع لا ينهى إلا عن فعل فيه ضرر محقق، وعواقب عظيمة تعود على الفرد آجلاً في آخرته، وعاجلاً في دنياه؛ فكلما أعرض البشر عن شرع الله ولووا أعناقهم عنه كلما زاد شقاؤهم، وعظمت أمراضهم، وهذا ما بينه العلم الحديث، حيث أثبتت دراسات الباحثين أن لكل تجاوز شرعي مضار صحية لا سبيل للخلاص منها إلا بالرجوع إلى أمر الشرع فيها، ودليل ذلك أن أغلب الدول المتقدمة أصبحت تداوي مرضاها بالطرق الإسلامية كما هو الحال في تقسيم المعدة، أو الصوم، وغيرهما من طرق الوقاية، والتداوي في شرعنا الحنيف .

2.1.2.3 المصرة النفسية : وهي المصرة التي تلحق القلب، والعقل أعظم

أعضاء البدن؛ إذ بهما تكون معرفة الحق من الباطل، وبهما يكون الإدراك والتمييز، وتكون الرحمة، والرأفة؛ لذلك كان الشيع، وملء البطن من أشر

الأمر؛ لكونه يؤثر في القلب، والعقل سلباً، فيعيق مهامهما ويكدر صفو حياة الإنسان لتصير جحيماً دنيوياً قبل أن يذوق جحيم الآخرة .

هذا وقد أسهبت نصوص الشرع، وعلماءه في بيان المضار النفسية للشعب وملء البطن منذ آلاف السنين، وعنوا بها عناية فائقة، بل سبقوا في ذلك ما توصلت إليه نتائج العلم الحديث ومن بين ما تحدثوا عنه:

♦ - **البلادة والغباء:** فملء البطن، وكثرة الشعب يعمي القلب، ويكثر البخار في الدماغ مما يثقله عن سرعة الإدراك، ويذهب الحفظ، ويفسد الذهن ويثبطه عن الفهم، والاستيعاب كما أن كثرة الشعب تمنع العقل من اكتساب المعرفة، والاستبصار بحقائق الأمور ودقائقها مما يحيل بينه وبين تحصيل الحكمة⁽²⁵⁾؛ لذلك قال أهل العلم: «لا تسكن الحكمة معدة ملأى»⁽²⁶⁾، وقد كانت نتائج العلم الحديث مطابقة لما توصل إليه علماء المسلمين قبل قرون حيث أثبتت دراسة حديثه لجامعة 'براون' الأمريكية أن إصابة الأطفال بالسمنة التي هي من نتاج ملء البطن تُعرضهم لخطر انخفاض معدلات أداء الذاكرة والذكاء والتفكير الإدراكي؛ نتيجة تأثيرها السلبي على الهرمونات الدماغية المرتبطة بالقدرات المعرفية لدى الأطفال⁽²⁷⁾، و البالغين؛ فقد أثبتت دراسة أخرى أن السمنة تثبط عمل الدماغ؛ فتضعف القدرة الإدراكية، وتوثر سلباً على الوظائف المعرفية، كما تولد فيه أمراضاً عقلية مستعصية كالخرف المتسبب في ضمور الدماغ، والذي يعتبر مرض 'الزهايمر' أحد أشكاله، والمتسبب بدورة في تدهور مستمر في وظائف الدماغ؛ بحيث يؤثر سلباً في قدرات التفكير ويؤدي إلى فقدان الذاكرة ليتطور تدريجياً إلى فقدان القدرة على التواصل وانعدام الأداء الوظيفي⁽²⁸⁾.

ولا شك أن الوقوف على ما توصل إليه العلماء قديماً وحديثاً في بيان هذه الأضرار ما هو إلا دليلاً على صدق الحبيب رسول (ص) وتأكيداً للشعر الذي نوه به قبل آلاف السنين.

◆ - قساوة القلب، وفساد الخلق : إذا كان الالتزام بمقدار الحاجة من

الغذاء يوجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى، فإن كثرت توجب خلاف ذلك؛ لذا حذر منها أهل العلم فقال بعضهم «إياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب»⁽²⁹⁾؛ وما ذاك إلا لأن الإسراف في تناول الطعام والشبع بتناول كل ما يشتهي يُبعد العبد عن ربه بالكسل عن أداء العبادات والواجبات، كما ينسيه بلاء غيره فينسى الجائع، والمحتاج، والمريض ويُبقي عقله خاوياً من ذلك كله فيقسو قلبه وتتعدم فيه الرحمة، والأدهى من كل ذلك أنه ينسيه بلاء الله، وعذابه، فيوقعه في إتيان الشهوات، والمحرمات. روي عن عائشة ؓ أنها قالت: «إن أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبينا ﷺ: الشبع فإنّ القوم لما شبعوا بطونهم سميت أبدانهم فتصعبت قلوبهم، وجمحت شهواتهم»⁽³⁰⁾ فوقعوا في المحرمات ومارسوا أنواع الآفات، و«ما مرد ذلك كله إلا القوة الحاصلة من الشبع»⁽³¹⁾ التي تُصدئ القلب فإن كان « لكل شيء صدأ فإن صدأ نور القلب شبع البطن»⁽³²⁾، وقد لخص القدامى المضار النفسية لماء البطن فقالوا: «من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلّوا المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحُرم الشفقة على الخلق؛ لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شبياع وثقلت عليه العبادة، وزادت شهواته، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبياع يدورون حول المزابل»⁽³³⁾.

3.1.2.3 المصرة البدنية: وهي ما يلحق أعضاء الجسم فيؤدي إلى فسادها بتوريث الأسقام فيها قال الغزالي^(*) (505هـ): «يستفاد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق»⁽³⁴⁾، ولو نظرنا إلى الأمراض الناتجة عن كثرة الأكل لوجدنا مرجعها سببان رئيسيان هما: التخمة، والسمنة اللتان ينتج عنهما شروراً تنتهك حرمة الجسد فتؤثر سلباً على صحة الفرد الجسدية وراحته النفسية.

♦ - **الأمراض الناتجة عن التخمة:** يؤدي تناول كميات كبيرة من الطعام إلى عدم تحمل المعدة وثقل الطعام عليها مما يوصل إلى التخمة التي «تُبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام ولا تتضجعه»⁽³⁵⁾ مما يولد اختلالاً في نظام الهضم ويورث عسره، ويضاعف كمية الغازات في البطن. كما أن التخمة الشديدة تشكل عبأً على القلب بسبب نقص التروية القلبية الناتج عن ضغط المعدة على القلب وإعاقة انتقال الدم إليه مما يجعل التنفس عسيراً فيحدث ما يعرف بهجمة خناق صدر. وينتج عن التخمة أيضاً الإصابة ببعض الجراثيم نتيجة عدم تعرض كامل الطعام لحموضة المعدة الناتج عن التأثير السلبي للتخمة على بطانة المعدة وغدها المفترزة للعصارات الهاضمة. ومن التأثير السلبي للتخمة على المعدة جعلها عرضة للتوسع المميت والانفتال الخطير كما تكون عرضة للتمزق أيضاً⁽³⁶⁾ فضلاً عن تسببها في الإرهاق الجسدي والغثيان والقيء، وعدم القدرة على تناول الأطعمة مما قد يسبب بعض الأمراض الناتجة عن سوء التغذية.

هذه بعض الشرور البدنية الناتجة عن التخمة الحاصلة من الإفراط في تناول الأطعمة والوصول إلى درجة ملء البطن بها.

♦ - الأمراض الناتجة عن السمنة: لا يشك ذو عقل في أن ملء البطن شر عظيم؛ فهو السبب الأساس للتراكم المفرط للدهون الزائدة عن حاجة الجسم أو ما يعرف بمرض السمنة المتلازم ومشاكل صحية تستهدف أعضاء الجسم الأساسية مما يجعل العيش صعباً، أو يجعل إمكانيته شبه منعدمة؛ حيث «ثبت علمياً أن السمنة تسبب مضاعفات خطيرة في القلب والأوعية الدموية، وجهاز التنفس، والجهاز الهضمي، وتزيد في نسبة الوفيات»⁽³⁷⁾؛ إذ هي السبب في بعض الأمراض المزمنة؛ كمقاومة الأنسولين، داء السكري، متلازمة توقف التنفس أثناء النوم الإنسدادي، تصلب الشرايين، ارتفاع ضغط الدم⁽³⁸⁾؛ فكلما زادت كتلة الجسم زادت كمية الدم التي يضخها القلب لتغطية حاجات الجسم، مما يؤدي إلى ارتفاع حتمي لضغط الدم، هذا الأخير تترتب عليه مضاعفات خطيرة؛ كاضطراب نبضات القلب والنوبات القلبية، والسكتة الدماغية، وفقدان البصر، وغيرها، كما أن السمنة سبب رئيس في حدوث السكري؛ إذ تتسبب في زيادة البروتينات الشحمية والأحماض الدهنية فيزداد إفراز الأنسولين المتسبب في تكوين الأحماض الدهنية في الكبد وزيادة ترسب المواد الدهنية في الأنسجة مما يجعل مستقبلات الأنسولين تفقد الاستجابة له فتظهر أعراض الإصابة بمرض السكري⁽³⁹⁾.

وتتصاحب زيادة كتلة الجسم وتضاعف مجهود الكليتين لتتقية كميات الدم الهائلة التي يضخها القلب مما يؤثر على المدى البعيد على وظائفها ويزيد من احتمالية إصابتها وفشلها في تأدية مهامها.

هذا وقد أثبتت دراسة طبية أن السمنة من أسباب اضطراب عمل الخلايا المسؤول عن تشكل الخلايا السرطانية؛ لذا كانت السمنة من أهم عوامل

الإصابة بأخطر أنواع السرطان عند النساء خاصة؛ كسرطان القولون، الثدي البنكرياس، المعدة، الغدة الدرقية، المبايض، بل هي من محفزات السرطان التي تجعل نسب الإصابة به في ارتفاع مستمر، الأمر الذي جعل مكافحة السمنة هدفاً أساسياً للصحة العامة⁽⁴⁰⁾.

يضاف إلى هذا الشر العظيم شرور أخرى منها ما يعيق حركة الفرد كدوالي القدمين والروماتيزم المفصلي والتهاب المفاصل العظمية؛ حيث توصل باحثون بريطانيون إلى أن ارتفاع الوزن خطر متلازم وخطر الإصابة بالتهاب المفاصل العظمية في منطقتي 'الورك' و'الركبة' لدى الأطفال، وفي منطقة 'الركبة' لدى البالغين، وكبار السن⁽⁴¹⁾.

ومنها ما يهدد وجود الإنسان؛ إذ تسببت السمنة في العقم عند النساء خاصة نتيجة تراكم الدهون في منطقة المبايض مما يعيق الحمل، ويمنع حدوثه.

وقد أثبت العلم الحديث أن الأمراض الناتجة عن كثرة الأكل تستهدف ركائز الجسم الأساسية فتهكها، بل قد تقضي عليها أيضاً، وأن نسبة هذه الأمراض سواء النفسية أم البدنية في ارتفاع مستمر ما استمر الانسان في تجاوز حاجة جسمه في الطعام، وهذا ما تطابق ودلالات ألفاظ الحديث المنتقاة من قبل ﷺ. كما أن هذه الأمراض ليست إلا نزرأ يسيراً مما توصل إليه أهل العلم من أشكال الشر الذي أوجزه الرسول ﷺ في لفظة 'شر' التي انتقيت لتركيب موجز كان فيه من علوم الطب، والوقاية ما تعجز صفات عن تبليغه.

2.2.3 أهمية الأكل باليد: وهي ثاني إشارة علمية أشار إليها النبي ﷺ في هذا

الحديث، ولا شك أن سنته لم تخل من هذا الأمر، بل ورد فيها في غير حديث

حث فيه ﷺ على الأكل باليد حتى كان ذلك من أخلاقه ﷺ وأخلاق صحابته رضوان الله عليهم؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها»⁽⁴²⁾، وهذا دليل بين على استحباب الأكل باليد. ولقد كان هنا ذكر 'اليد' ظاهراً على عكس حديث جامع أصول الطب، الذي وظف فيه ﷺ لفظاً آخرأ دالاً على الحث على الأكل بها فقال ﷺ «حَسْبُ الْإِنْسَانِ، لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبُهُ»، واللقيمات تصغير 'لقم' وهي من الفعل 'لَقِمَ' و«اللَّامُ وَالْقَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَنَاوُلِ طَعَامٍ بِالْيَدِ لِلْفَمِ»⁽⁴³⁾؛ أي: أن اللقمة تطلق على الطعام الذي يُتناول باليد لا غيرها.

ولا ريب أن اختيار الرسول ﷺ لهذه اللفظة دون سواها ليس من باب الصدفة ولا ضرباً من الخيال؛ وإنما كان للحث على أكل الطعام باليد لما فيه من منافع صحية جمة تعود بالإيجاب على صحة الفرد وراحته النفسية. وهذا ما أثبتته العلم التجريبي الذي بين أن اليد تعمل كمُخَيَّرٍ؛ فبمجرد ملامسة الطعام لها ترسل رسائل عصبية للدماغ يتبين له من خلالها طبيعة المواد المكون للطعام، ومقدار صلابتها وكثافتها وغيرها، ليرسل الدماغ بدوره رسولا للجهاز الهضمي؛ عبارة عن رسائل عصبية تخبره بنوعية الطعام لتجهيز العصارات الهضمية والإنزيمات الملائمة، إضافة إلى أن اليد تحوي بكتيريا نافعة تعمل على حماية الجسم من البكتيريا الضارة من خلال تطهير الأشياء عند ملامستها، وهذا يعني أنها تعمل على تطهير الطعام قبل وصوله للفم، فضلا على أنها تُشعر بدرجة حرارة الأكل مما يمنع تناوله، و وصوله للفم مباشرة، فتقي من أمراض خطيرة تصيب اللثة والمعدة والأمعاء نتيجة تناول الأكل الساخن.

وأن الأكل بها يشعر بكمية الطعام المتناولة، مما يجعل الدماغ يرسل للجسم رسالة الشعور بالشبع بشكل أسرع، فيتوقف الانسان عن الأكل عند كمية قد تقارب الثلث ليكون الأكل باليد من عوامل مقاومة ملء البطن، والسمنة، ومن تم الحفاظ على الصحة⁽⁴⁴⁾.

وبهذا تتضح لنا الفوائد الصحية لاستعمال اليد في الأكل، والتي ما كنا لنقف عليها لولا توظيفه للفظة 'لقيمات' التي كانت دلالتها على استعمال اليد في هذا المقام إشارة جلية على الأهمية الصحية للأكل بها.

3.2.3 أهمية العمود الفقري: وهي ثالث إشارة علمية نقف عندها في هذا الحديث، حيث أشار النبي ﷺ إلى أهمية العمود الفقري في تحركات الجسم من خلال انتقائه للفظة 'صلب' الموظفة في قوله (ص): «لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبُهُ»؛ و الصلب عظم من الكاهل إلى العجب، وهو من الظهر وكل شيء فيه فقار فذلك الصلب⁽⁴⁵⁾.

وإن أراد (ص) إقامة الظهر إلا أنه سماه بالصلب ليشير إلى أنه أهم عظم فيه وأنه المسؤول عن تحركه وإقامة الجسم، وقد أثبتت الأبحاث العلمية هذا الأمر فبينت أن الصلب - أو ما يعرف بالعمود الفقري في المصطلح الطبي - يحوي النخاع الشوكي المسؤول عن نقل الإشارات العصبية إلى الدماغ، الذي يترجم هذه الإشارات إلى حركات الجسم.

ومنه؛ فالصلب هو الهيكل الذي يقيم الظهر ويعطيه وضعيته المستقيمة وعليه يستند الجسم، كما أنه يشكل محور الظهر الذي يساعده على الانتقال من وضعية إلى أخرى؛ لذلك كان ما يكفي من الطعام لإقامته كاف لإقامة كل الجسم، وكان كل وهن فيه هو وهن لذلك الجسم.

فصلى الله على صاحب السبق وأبرع مخترع للألفاظ المضيئة على معانيها.

4.2.3 التقسيم الثلاثي للبطن: وهذه رابع إشارة علمية في هذا الحديث وهي

آخرها قال ﷺ «فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَتُلُتْ لِلطَّعَامِ، وَتُلُتْ لِلشَّرَابِ، وَتُلُتْ لِلنَّفْسِ»؛ حيث بين ﷺ أن ما يدخل البطن هو أمور ثلاثة الطعام والماء، والهواء وذلك لكونها الأسس التي تقوم بها حياة الفرد؛ لذا كان يجب أن يكون لكل منها مقداره في كفاية الجسم؛ ومقدار الكفاية في كل منها هو الثلث، وهذا دليل على كونها متساوية الأهمية بالنسبة لصحة الانسان؛ فمعلوم أن للطعام أهميته البالغة فهو القوت الذي يتقوى به جسم الانسان، ويؤمن عملياته الحيوية ليقوم بوظائفه. لكن رغم ذلك إلا أن الطعام لا يمكن أن يقيم الجسم وحده، بل لابد له في ذلك من الماء، والهواء.

فأمّا الماء فأمر الرسول ﷺ بمساواة حقه في المعدة بالأكل والهواء، دليل جلي على أهميته الصحية، والوقائية، وقد جهلت تفاصيل هذه الأهمية حتى جاء الطب الحديث الذي قرر ما ورد في هذا الحديث، فأوصى بشرب الماء مع الطعام؛ لأنه تبين للأطباء أنه يفيد في زيادة إفرازات العصارات في المعدة والكبد والأمعاء، فضلاً عن كونه المكون الأساس لكثير من هذه العصارات، وأنه يساعد مهمة الجهاز الهضمي بتليينه الطعام وصياغته كعجينة تتفد فيها العصارات الهاضمة، فيمنع القبض (الإمساك المزمن)⁽⁴⁶⁾.

وأما الهواء؛ فلأن الجزء العلوي للمعدة هو عبارة عن جيب ممتلئ بالهواء يقع تحت الحجاب الحاجز، وكلما كان ممتلئاً بالهواء كانت حركة الحجاب الحاجز فوّه أسهل، وكان التنفس أيسر⁽⁴⁷⁾؛ وذلك أن للمعدة قدرة كبيرة على

التمدد بحسب الوجبة المتأولة، فإذا كانت كمية الطعام كثيرة فإن المعدة تتسع لتسع الطعام الداخل إليها مما يجعلها تشغل حيزاً أكبر من مكانها الطبيعي، فتضغط بذلك على كل من الحجاب الحاجز، والرئة فتثبط حركته، وتمنع تمددها التام فتعيق دخول الكمية الكافية من الهواء مما يجعل التنفس صعباً، وهذا على عكس حال الالتزام بالثلث الذي تكون فيه تقلصات الحجاب الحاجز طبيعية، وكذلك دخول الهواء إلى الرئتين فيكون التنفس انسيابياً طبيعياً، نتيجة غياب الاضطراب المكاني، والشلل الحركي الذي يسببه ملء المعدة فخروجها عن حيزها الطبيعي .

والرسول ﷺ وإن لم يذكر هذا بالتفصيل إلا أن بيانه لمقدار الكفاية في كل ما يدخل البطن - والذي هو الثلث - ، و ألفاظه التي اصطفاه لتبليغ مراده كانت بمثابة إشارات واضحة ونجوم لامعة تضيء طريق من يريد الوصول إلى دقائق هذه الحقائق العلمية.

4. خاتمة

إنّ المكوث في رحاب حديث الرسول ﷺ لأمر جليل وشعور جميل لا يتذوقه إلا من بات ساهراً حتى غفت عيناه بين سطوره، وربطته علاقة حب بألفاظه؛ وما ذاك إلا أن حديث الرسول ﷺ نجوم طالع لا يعرف شدة ضوئها إلا من اقترب منها، ولا يصل إلى خباياها إلا من غاص في أعماقها.

وبعد محاولة غوصي في حديث 'جامع أصول الطب' برزت لي أمور مضيئة منها:

أن الحبيب ﷺ كان لغوياً نحرياً، وطيباً حاذقاً عالماً بالبعد الدلالي لكل لفظة انتقاهها لهذا الحديث وإلا كيف له أن يوجز علومه عدة في سطر ونصف

أوصل فيه ما عجزت أنامل غيره، وآلاف صفحاتهم عن إيصاله؛ هذا أمر لا يمكن أن يفعله إلا عالمٌ بأسرار اللغة، ودقائق الطب.

وأن نصوصه ﷺ نصوص هداية وعلم، وليست وعظاً، أو حكماً فقط كما يراها الكثيرون فقد ضمت روائع علوم اللغة وإشارات العلوم الأخرى و'جامع أصول الطب' خير مثال لذلك؛

وأن ألفاظ حديث 'جامع أصول الطب' غاية في البراعة اللغوية؛ فقد جمعت بلاغة اللفظ وعمق المعنى؛ الأمر الذي خول لها أن تكون إشارات أولية لدقائق علمية مطابقة لما توصل إليه العلم التجريبي الحديث، لتؤكد بذلك أن الإعجاز اللغوي هو الركيزة الأولى، والأساس الذي يُعرف به باقي وجوه الإعجاز، والعلمي أولها؛ إذ لولا عمق الدلالة اللغوية لما كان للإعجاز العلمي في هذا الحديث وجود؛

لقد ضمن الرسول ﷺ هذا الحديث بعض الحقائق العلمية التي لا يمكن للإنسان العيش الهنيء بدون إتباعها؛ إذ يمثل إتباعها طرق وقائية، ووسائل صحية تضمن للإنسان سر التمتع بصحة جسدية وراحة نفسية، تمكنه من يسر العيش، ومزاولة واجباته التعبدية؛

ومن هذه الحقائق؛ كون كثرة الطعام رأس الأمراض، وتجنبها أساس الصحة، وإبراز أهمية الأكل باليد، وبيان دور العمود الفقري في صنع حركات الجسم، ووجوب الالتزام بالثلث في الطعام والحث على شرب الماء معه لأهميته البالغة؛

وقد حوى حديثه هذا أصول الطب كلها، وجمع من طرق الوقاية جُلها، فكان بذلك حجر الأساس لنظامٍ غذائيٍّ محكمٍ يتوازن يضمن لكل من اتبع خطواته صحة الجسد، وراحة النفس.

والرسول ﷺ وإن لم يفصّل في هذا الحديث في ذكر الحقائق العلمية إلا أن ألفاظه التي اختارها لتبليغ مراده كانت علامات بيّنة لمن أراد اختيار الوقاية على العلاج.

5. قائمة المراجع:

1.5 المراجع العربية

- أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، الجوع، تحقيق: محمد خير يوسف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1417هـ - 1997م.
- إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، اد، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ - 1984م.
- أبو الحسن علي ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1994م.
- أبو الخير محمد شمس الدين السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين، ط1، مكتبة السنّة، مصر، 1424هـ - 2003م.
- أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، اد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.

- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ - 1988م.
- أبو الفضل محمد ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- أبو بكر محمد بن العربي، أحكام القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2003م.
- أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، لد، ط1، دار المعرفة، بيروت، لد، ت1.
- أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1426هـ - 2005م.
- أبو عبد الله محمد البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ - 2001م.
- أبو عبد الله محمد شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ - 1985م.
- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، لد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1399هـ - 1979م.

- أحمد محمد كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، ط1، دار النفائس، بيروت، 1420هـ - 2000م.
- جلال الدين السيوطي ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، لد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لد، ت1.
- جلال الدين السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، لد، ط1، المكتبة العلمية، البصرة، لد، ت1.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
- زين الدين عبد الرحمان بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: أبو النور محمد الأحمد، ط2، دار السلام، مصر، 1424هـ - 2004.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، لد، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، لد، ت1.
- عبد الجواد الصاوي، الصيام معجزة علمية، ط2، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة، 1322هـ.
- عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، تحقيق: محمود ناظم النسيمي، ط2، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1402هـ - 1982م.
- عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، لد، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م.

- عبد الله المصلح، وعبد الجواد الصاوي، وآخرون، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة منهج التدريس الجامعي، ط1، دار جياذ - جدة، 1429هـ - 2008م.
- محمد ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ط2، دار الهلال، بيروت، لد، تا.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395 هـ - 1975 م.
- يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ط2، مكتبة ابن حجر، دمشق، 1424هـ - 2003م.

2.5 المراجع الأجنبية:

1.2.5 المقالات:

- Pavlina .and authors, The association between obesity and fluid intelligence impairment is mediated by chronic low-grad inflammation, British journal of Nutrition, V112, N10, 2014.
- The Lancet, The link between cancer and obesity, The Lancet journal, V390, N10104, 2017.

2.2.5 المؤتمرات:

- Brito Hambra, and authors, Obesity in childhood and adulthood shown to increase risk of Knee and Hip osteoarthritis, Annual European Congress of Rheumatology, 13-16/1/2018, European League Against Rheumatism(EULAR 2018), Amsterdam.

3.2.5 مواقع الإنترنت:

- Sanjana Gupta(2016), The benefits of eating with your hands ,<http://m.indiatimes.com/health/healthyliving/the-benefits-of-eating-with-your-hands-241838.html>, (24/4/2016).

- Providence, R.I (Brown university), (2018), Early life obesity impacts children's learning and memory, <http://www.brown.edu/news/2018-05-23/weightstatus>. (23/5/2018).

6. الهوامش

- (1) أبو الفضل محمد ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج5، مادة (ع ج ز)، ص369.
- (2) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، لد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1399هـ - 1979م، ج4، مادة (ع ج ز)، ص232.
- (3) ابن منظور، لسان العرب، ج5، مادة (ع ج ز)، ص370.
- (4) عبد الله المصلح، وعبد الجواد الصاوي، وآخرون، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة منهج التدريس الجامعي، ط1، دار جياذ - جدة، 1429هـ - 2008م، ص28 بتصرف.
- (5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، مادة (ح د ث)، ص36.
- (6) أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005م، مادة (ح د ث)، ص167.
- (7) أبو الخير محمد شمس الدين السخاوي، فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين، ط1، مكتبة السنة، مصر، 1424هـ - 2003م، ج1، ص22.
- (*) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ وأديب، له نحو ستمائة مصنف في شتى العلوم. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج3، ص300 - ص301.
- (8) جلال الدين السيوطي، ألفية السيوطي في علم الحديث، لد، ط1، المكتبة العلمية، البصرة، لد، ت1، ص03.
- (9) أبو الحسن علي ابن الأثير، أسد الغاية في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1994م، ج5، ص244.
- (10) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، حديث رقم 3349، ج2، ص1111.

- (11) أبو عيسى محمد الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ - 1975م، ج4، ص590.
- (*) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي، إمام حافظ ومحدث فقيه وواعظ، له مؤلفات عدة منها أشهرها فتح الباري. ينظر: جلال الدين السيوطي ذيل طبقات الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، أد، طأ، دار الكتب العلمية، بيروت، أد، تآ، ص243.
- (*) أبو زكريا يحيى بن ماسويه: من العلماء الأطباء، سرياني الأصل، عربي المنشأ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج8، ص211.
- (12) زين الدين عبد الرحمان بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: أبو النور محمد الأحمد، ط2، دار السلام، مصر، 1424هـ - 2004م، ج3، ص1238.
- (13) نفسه، ج3، ص1239 بتصرف.
- (14) أبو العلا محمد المباركفوري، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أد، طأ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ج7، ص43 - ص44 بتصرف.
- (15) سورة الأنفال: الآية: 64.
- (16) إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أد، طأ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404هـ - 1984م، ج8، ص319 بتصرف.
- (17) ابن منظور، لسان العرب، ج12، مادة (ل ق م)، ص546 بتصرف.
- (18) أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ - 1992م، ص71.
- (19) نفسه بتصرف.
- (20) أبو العلا محمد، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ج7، ص44 بتصرف.
- (21) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج3، ص1248.
- (22) محمد ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ط2، دار الهلال، بيروت، أد، تآ، ص16 بتصرف.
- (23) سورة الأعراف: الآية: 31.
- (24) أبو بكر محمد بن العربي، أحكام القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2003م،

ج2، ص310 بتصريف.

(25) أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، لد، ط1، دار المعرفة، بيروت، لد، ت1، ج3، ص84 بتصريف.

(26) أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، الجوع، تحقيق: محمد خير يوسف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1417هـ - 1997م، ص78.

(27) Providence, R.I (Brown university), (2018), Early life obeosity impacts children's learning and memory، <http://www.brown.edu/news/2018-05-23/weightstatus>. (23/5/2018).

(28) Pavlina, and authors, The association between obesity and fluid intelligence impairment is mediated by chronic low-grad inflammation, British journal of Nutrition, V112, N10, 2014, P1725.

(29) ابن أبي الدنيا، الجوع، ص73.

(30) نفسه، ص43.

(31) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص86.

(32) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ - 1988م، ج10، ص279.

(33) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص87.

(*) هو أبو حامد زين الدين محمد الطوسي، الفقيه الأصولي الشافعي، الغزالي، حجة الإسلام. ينظر: أبو عبد الله محمد شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ - 1985م، ج19، ص322_ص323.

(34) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص87.

(35) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص83.

(36) عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، تحقيق: محمود ناظم النسيمي، ط2، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1402هـ - 1982م، ص130 بتصريف.

(37) أحمد محمد كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، ط1، دار النفائس، بيروت، 1420هـ -

2000م، ص664.

(38) Pavlina, and authors, the association between obesity and fluid intelligence impairment is mediated by chronic low-grad inflammation, V112, N10, P1724.

(39) ينظر: عبد الجواد الصاوي، الصيام معجزة علمية، ط2، مطابع رابطة العالم الإسلامي،

مكة، 1322هـ، ص49.

(40) The Lancet, The link between cancer and obesity, The Lancet journal, V390, N10104, 2017.P1716.

(41) Brito Hambra, and authors, Obesity in childhood and adulthood shown to increase risk of Knee and Hip osteoarthritis, Annual European Congress of Rheumatology, 13-16/1/2018, European League Against Rheumatism(EULAR 2018), Amsterdam.

(42) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب لعق الأصابع ومصها قبل أن تمسح بالمني،

حديث رقم 5456، ج7، ص82.

(43) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، مادة (ل ق م)، ص260.

(44) Sanjana Gupta (2016), The benefits of eating with your hands, <http://m.indiatimes.com/health/healthyliving/the-benefits-of-eating-with-your-hands-241838.html>, (24/4/2016).

(45) ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة (ص ل ب)، ص208 بتصرف.

(46) يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ط2،

مكتبة ابن حجر، دمشق، 1424هـ - 2003م، ص708 بتصرف.

عبد الرزاق الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، لد، ط1، دار القلم، دمشق، 1996م،

ص53 بتصرف. (47)

